

قصص الحيوانات
في القرآن الكريم
4
ذئب يوسف
بقلم: عبد الحميد عبد المقصود
رسوم: عبد الشافي سيد
إشراف الأستاذ / حمدي مصطفى
المؤسسة العربية الحديثة



أَنَا ذِئْبُ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ ..

أَوِ الذِّئْبُ الْمُتَّهَمُ ظُلْمًا بِأَكْلِ نَبِيِّ اللهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

وَلَكِنْ صَدِّقُونِي ، فَهَذَا الاتِّهَامُ الْبَاطِلُ لَا أَسَاسَ لَهُ مِنَ الصِّحَّةِ ، وَيَكْفِينِي شَرَفًا أَنَّ بَرَاءَتِي مِنْ أَكْلِ ابْنِ يَعْقُوبَ قَدْ نَزَلَتْ فِي قُرْآنٍ كَرِيمٍ يُتْلَى عَلَى النَّاسِ لَيْلَ نَهَارَ .. وَهَلْ هُنَاكَ شَرَفٌ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ..؟!

وَلَكِنْ مَا هِيَ قِصَّتِي ، وَلِمَاذَا اتَّهَمَنِي إِخْوَةُ يُوسُفَ ظُلْمًا بِأَنِّي أَكَلْتُ أَخَاهُمْ .. دَعُونِي أَحْكِ لَكُمُ الْقِصَّةَ مِنَ الْبِدَايَةِ لِلنِّهَايَةِ ..

كَانَ نَبِيُّ اللهِ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَزَوِّجًا مِنْ زَوْجَةٍ أُولَى أَنْجَبَتْ لَهُ عَشَرَةً مِنَ الْأَبْنَاءِ ..

ثُمَّ تَزَوَّجَ مِنْ زَوْجَةٍ ثَانِيَةٍ أَنْجَبَتْ لَهُ اثْنَيْنِ مِنَ الْأَبْنَاءِ ، هُمَا يُوسُفُ وَأَخُوهُ .. فَكَانَا أَصْغَرَ الْأَبْنَاءِ ..

وَكَانَ أَبْنَاءُ يَعْقُوبَ الْعَشَرَةُ لَا يُحِبُّونَ يُوسُفَ وَأَخَاهُ ، بِسَبَبِ قُرْبِهِمَا مِنْ أَبِيهِمَا ..

وَبِسَبَبِ حُبِّ يَعْقُوبَ لِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ، قَرَّرَ إِخْوَةُ يُوسُفَ الْعَشَرَةُ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْ يُوسُفَ ؛ حَتَّى يَسْتَحْوِذُوا عَلَى حُبِّ أَبِيهِمْ لَهُمْ وَحْدَهُمْ .

اجْتَمَعَ إِخْوَةُ يُوسُفَ الْعَشَرَةُ ، وَأَخَذُوا يَتَنَاقَشُونَ وَيُخَطِّطُونَ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ يُوسُفَ ..



قَالَ أَحَدُهُمْ : اقْتُلُوا يُوسُفَ ، حَتَّى نَسْتَأْثِرَ بِحُبِّ أَبِينَا لَنَا ..

وَقَالَ آخَرُ : نُلْقِهِ فِي أَرْضٍ بَعِيدَةٍ وَنَتْرُكُهُ لِلذِّئَابِ وَالْوُحُوشِ تَأْكُلُهُ ..

وَاعْتَرَضَ ثَالِثٌ قَائِلًا : لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ ، وَلَكِنْ أَلْقُوهُ فِي بِئْرٍ أَوْ جُبٍّ ، فَقَدْ يَسْمَعُ صُرَاخَهُ بَعْضُ الْقَوَافِلِ التِّجَارِيَّةِ أَوِ الْمَارَّةِ بِجِوَارِ الْبِئْرِ ، فَيَأْخُذُونَهُ وَيَبِيعُونَهُ بَعِيدًا ، وَبِذَلِكَ نَتَخَلَّصُ مِنْهُ إِلَى الْأَبَدِ ..

وَسَأَلَ أَحَدُهُمْ : وَلَكِنْ مَاذَا نَقُولُ لِأَبِينَا إِذَا سَأَلَنَا عَنْ يُوسُفَ ؟

فَأَجَابَهُ آخَرُ : نَقُولُ لَهُ إِنَّ يُوسُفَ قَدْ تَاهَ مِنَّا .

وَقَالَ آخَرُ : نَقُولُ لَهُ إِنَّ الذِّئْبَ قَدْ أَكَلَهُ ..

وَهَكَذَا دَبَّرَ إِخْوَةُ يُوسُفَ أَمْرَ التَّخَلُّصِ مِنْهُ . وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ، وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ لِلْخُرُوجِ إِلَى الْمَرْعَى لِرَعْيِ إِبِلِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ تَوَجَّهُوا إِلَى أَبِيهِمْ وَكَانَ يُوسُفُ يَلْعَبُ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَقَالُوا لَهُ :

نُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَسْمَحَ لَنَا بِأَخْذِ يُوسُفَ مَعَنَا إِلَى الْمَرْعَى ، لِيَلْعَبَ هُنَاكَ وَيَمْرَحَ ..



نَظَرَ يَعْقُوبُ إِلَى أَبْنَائِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ، وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ عَنْهُ بِاللَّعِبِ أَوْ رَعْىِ الْمَوَاشِى ..

فَرَدَّ أَحَدُهُمْ بِقَوْلِهِ : لَا تَخَفْ عَلَيْهِ .. سَنَحْرُسُهُ طَوَالَ الْوَقْتِ ، وَلَنْ يَغِيبَ عَنْ أَعْيُنِنَا لَحْظَةً وَاحِدَةً .

وَقَالَ آخَرُ : كَيْفَ نَغْفُلُ عَنْهُ وَنَتْرُكُهُ لِيَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ، وَنَحْنُ كَثِيرُونَ ؟ لَنْ يَحْدُثَ هَذَا يَا أَبِى ..

وَهَكَذَا ظَلُّوا يُقْنِعُونَ أَبَاهُمْ ، حَتَّى سَمَحَ لَهُمْ بِاصْطِحَابِ يُوسُفَ مَعَهُمْ ..

وَهُنَاكَ فِى الْمَرْعَى الْبَعِيدِ فِى جَوْفِ الصَّحْرَاءِ ، بَدَأَ إِخْوَةُ يُوسُفَ تَنْفِيذَ خُطَّتِهِمْ .. عَصَبُوا عَيْنَىْ يُوسُفَ .. ثُمَّ نَزَعُوا عَنْهُ قَمِيصَهُ .. ثُمَّ أَلْقَوْا بِهِ فِى الْبِئْرِ .. وَهَكَذَا تَخَلَّصُوا مِنْهُ ..



ثُمَّ ذَبَحُوا أَحَدَ الْخِرَافِ ، وَلَطَّخُوا قَمِيصَ يُوسُفَ بِدَمِ الْخَرُوفِ ، ثُمَّ حَمَلُوهُ وَعَادُوا إِلَى أَبِيهِمْ فِي الْمَسَاءِ يَتَصَنَّعُونَ الْبُكَاءَ ..

وَعِنْدَمَا رَآهُمْ يَعْقُوبُ سَأَلَهُمْ : أَيْنَ أَخُوكُمْ يُوسُفُ ..؟

فَقَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ وَهُمْ يُمَثِّلُونَ الْبُكَاءَ : لَقَدْ غَافَلَنَا الذِّئْبُ وَأَكَلَهُ .. وَهَكَذَا اتَّهَمَنِي إِخْوَةُ يُوسُفَ كَذِبًا وَظُلْمًا ، وَأَنَا لَمْ آكُلْ يُوسُفَ ، وَلَمْ أَمَسَّهُ بِسُوءٍ ..

نَظَرَ يَعْقُوبُ إِلَى قَمِيصِ يُوسُفَ وَعَرَفَ أَنَّ أَبْنَاءَهُ يَكْذِبُونَ عَلَيْهِ .. إِذْ كَيْفَ يَأْكُلُ الذِّئْبُ يُوسُفَ وَلَا يُمَزِّقُ قَمِيصَهُ ؟!..

هَكَذَا لَاحَظَ الْأَبُ بِحِكْمَتِهِ وَبَصِيرَتِهِ .. وَهَكَذَا بَرَّأَنِي الْأَبُ مِنْ دَمِ ابْنِهِ ..

وَنَظَرَ الْأَبُ إِلَى أَبْنَائِهِ بِحُزْنٍ قَائِلًا لَهُمْ : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ ..



أَمَّا يُوسُفُ فَقَدْ عَثَرَتْ عَلَيْهِ قَافِلَةٌ تِجَارِيَّةٌ كَانَتْ فِي طَرِيقِهَا إِلَى مِصْرَ، فَأَخْرَجَهُ أَحَدُهُمْ مِنْ قَلْبِ الْبِئْرِ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ صُرَاخَهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ مَعَهُ، وَبَاعَهُ هُنَاكَ لِحَاكِمِ مِصْرَ .. فَعَاشَ وَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ نَبِيًّا ..

وَقَدْ حَكَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَوْقِفَ الذِّئْبِ مِنْ يُوسُفَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ :

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ، وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ، وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ * فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ *

وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا
وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ، قَالَ بَلْ
سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى
مَا تَصِفُونَ » . (الآيات من ١١ إلى ١٨ من سورة يوسف)

